Rimak International Journal of Humanities and Social Sciences
ISSN: 2717- 8293

Research Article JULY 2022 Volume: 4 Issue: 4

BACKGROUND AND CAUSES OF THE 1860 INCIDENTS IN THE MOUNT-LEBANON, THROUGH THE FRENCH DOCUMENT

Racha MAZOUZI[1]

Istanbul / Türkiye
p. 131-146

Received: 26/04/2022
Accepted: 15/05/2022
Published: 01/07/2022

This article has been scanned by **iThenticat** No **plagiarism** detected

Abstract:

This research contains the events which mount of Lebanon experienced in the nineteenth century, as Lebanon's mount witnessed a conflict between the largest religious sects, Druze and Maronite, wich led to creat many divisions, massacres, and destroyed villages in the country, The significance of this research lies in an attempt to extract the real causes of this conflict, and the role and policy of France and England in the Levant, through a French memorandum from the French diplomatic archive of the Ministry of Foreign Affairs.

Key words: Mount Lebanon, Maronites, Druze, French Politics, British Politics, Ottoman Government.

http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.18.8

[1] Researcher, Yahia Faris University, Algeria, chichracha@yahoo.com, https://orcid.org/0000-0001-5222-5381

Copyright © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com
Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Volume: 4 Issue: 4

خلفيات وأسباب حوادث 1860 في جبل لبنان، من خلال الوثيقة الفرنسية

معزوزي رشا [2]

الملخص:

يتناول هذا البحث الأحداث التي عاشها جبل لبنان في منتصف القرن التاسع عشر، إذ شهد جبل لبنان صراعا بين أكبر طوائفه الدروز والمارونيين، ونتج عن هذا الصراع انقسامات في البلد ومجازر، وقرى مدمرة، تكمن أهمية هذا البحث في محاولة استخراج الأسباب الحقيقية لهذا الصراع، ودور وسياسة فرنسا وانجلترا في بلاد الشام، من خلال المذكرة فرنسية من الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي لوزارة الشؤون الخارجية.

الكلمات المفتاحية: جبل لبنان، المارونيين، الدروز، السياسة الفرنسية، السياسة البريطانية، الحكومة العثمانية.

المقدمة:

عاشت الطوائف الدرزية والمارونية منذ قرون في جبل لبنان، في هدوء واستقرار، في قرى متجاورة أو مختلطين، وكان أغلب الموارنة يعملون في زراعة عند الدروز، ملاك الأراضي، عندما كانت الدولة العثمانية أقوى دولة في العالم خلال القرن 16 و17، ولكن بعد بروز الأطماع الأوربية الاستعمارية في أواخر القرن 18، وأهدافها لتفكيك الدولة العثمانية داخليا، ركزت الدول الأوروبية في مشروعها هذا على حركة طوائف، وكان باب نفوذ هذه الدول داخل الدولة العثمانية، الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لدول الأوربية بداية من سنة 1535م، استغلت فرنسا بموجبها فرض الحماية الوهمية لأمة المارونية، التي كانت تدين بولاء لها خاصة بعد أن أصبحت تابعة للكنيسة الكاثوليكية، وبريطانيا بدورها جذبت لها الدروز، وبتحريض من هذه الدول، تحول الاستقرار في جبل لبنان إلى صراعات وثورات فلاحية ليصل فيما بعد إلى مذابح و مجازر طائفية وتدمير قرى، وسؤال هنا هل كان سبب الحقيقي لهذه الحروب اختلافات الدينية طائفية، أو كان صراع سياسي أو طبقي بين الفلاحين والإقطاعيين ؟ تكمن أهمية بحثنا في دراسة خلفيات وأسباب حوادث 1860 من خلال الوثيقة الفرنسية، وهي مذكرة موجودة في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي لوزارة شؤون الخارجية الفرنسية كتبت في يوليو 1860، سنة الحرب في جبل لبنان، نهدف من خلال هذه الدراسة إبراز سياسة فرنسا وبريطانيا في بلاد الشام، ودورهم في تحريض وتعميق الخلافات بين الطائفتين في جبل لبنان، وكيفية تعامل الباب العالي مع هذه أحداث في جبل لبنان.

وقبل الولوج في دراسة الجذور التاريخية لأحداث 1860 في جبل لبنان من خلال الوثيقة الفرنسية، لابد أن نعرف الطائفة الدرزية والمارونية، و نتطرق إلى العلاقة القديمة لفرنسا بالموارنة.

الدروز:

أصل الدروز من مصر، أين نشئت هذه الطائفة، وانشقت من المذهب الشيعي الإسماعيلي، تطورها في لبنان يعود إلى القرن 11م، في فترة الحكم الفاطمي لجئوا هاربين إلى جبال لبنان التي يصعب الوصول لها، بهدف الحصول على استقلالية الدينية والسياسية.(Matar,1978,p.589)

[3]د.، جامعة دكتور يحي فارس، الجزائر، chichracha@yahoo.com

في القرن السادس عشرا الدروز كانوا متمركزين في وادي التيم و الشوف، الغرب، هذه القبائل الكبيرة التي أعطت لجبل الأمراء الأوائل، لكن لم يعرف الدروز السيادة السياسية إلا بعد مجيء العثمانيين، وأصبح لهم شبه الطابع المؤسسي على الإمارة الجبلية، وتفوق الأمير فخر الدين الأول على جميع العائلات الإقطاعية الأخرى، وتوسعت سلطته فيما بعد إلى غاية كسروان في شمال، وفي سنجاق صيدا في الجنوب، فخر الدين الثاني أعطى لقب للخزن مقاطعجي في كسروان، إذ اعتنقوا المارونية فيما بعد، وأصبحوا أول عائلة مارونية تحمل هذا اللقب.

التنظيم الاجتماعي للدروز، موازي للنظام الديني قائم على السلطة السياسية التي تمنح السيطرة أو ملكية الأرض من قبل بعض من عائلات الذات نفوذ.(Issa ,1994,p.64)

–الموارنة وفرنسا:

الأمة المارونية يعود أصلها إلى ناسك اسمه مارون الذي عاش في أواخر القرن الرابع. (Murad,1844,p.351)

أما تشرشل في كتابه يذكر أنه عاش في القرن السابع على ضفاف العاصي قرب حماه في سوريا، والمارونية طائفة تعتقد بالمسيح إرادة واحدة، أو فضيلة مفردة والمسيحيون في لبنان بالتعلق بمارون استمروا منفصلين عن الكنيسة ما يقارب 500 سنة، وبعدها اعتنقوا الكاثوليكية على يدي الأب القدوس عاموري بطريرك أنطاكية، والتزموا تعاليم الكنيسة الرومانية المقدسة، وهكذا فقد بقي المارونيون إلى نهاية القرن الخامس عشر حتى اعترفوا برئاسة البابا في نظامهم الديني.(تشرشل، 1984، ص.17)

دفعوا عن دينهم بداية ضد الأباطرة اليونانيين المنفصلين عن الكنيسة الرومانية، ثم ضد الخلفاء، وأخير ضد السلاطين، بعد غزو سوريا من قبل العرب، الأهالي الذين حافظوا على الديانة الكاثوليكية، منهم من لجئوا إلى قبرص، ومنهم إلى جبل لبنان، لتفادي اضطهاد، و عرفوا القوة في جبل لبنان القرن 11 عندما أضيف لهم الدروز القادمين من مصر (de Boislecomte 1833,p.315).

– علاقة الموارنة بفرنسا

المارونيين يؤمنوا بأن أجدادهم شاركوا في حملة الصليبية، وأنهم أرسلوا للمساعدة 40 ألف مقاتل لتحرير القبر المقدس، ومن هنا بدأت علاقتهم مع الغرب، كانوا يقيمون بكثرة في قبرص، الملك لويس ملك فرنسا مرا من قبرص إلى الأرض المقدسة، قام المارونيين بإرسال له الهدايا الثمينة، كتب إلى أميرهم وبطريرك وأساقفة الأمة المارونية سنة 1250م " في حقيقة الصداقة التي بدأنا نشعر بها كثيرا مع المارونيين خلال مدة بقاءنا في قبرص زادت نحن على يقين أن هذه الأمة المارونية هي جزء من الأمة الفرنسية،لأن صداقتها للفرنسيين تشبه صداقة الفرنسيين في بعضهم، وبالتالي من الصحيح أن تتمتعوا أنتم وكل المارونيين بنفس الحماية، كالتي يتمتع بها الفرنسيين عندنا،ويتم قبلوكم في الوظائف مثلهم، أما بالنسبة إلينا وإلى كل من يخلفنا ويخلف العرش، نتعهد لإعطائكم وشعبكم الحماية مثل الفرنسيين أنفسهم ونفعل كل ما في وسعنا لإسعادكم " .(Bey ,1899 ,p. 361)

نصح أميرهم والبطريرك بالتمسك بالديانة الكاثوليكية واحترامهم رئيس الكنيسة، وفعلوا بما نصحهم، ومن ثم تم تسهيل تعيين رجل الدين التابع لهم، وأسس مدرسة المارونيين في روم 1584م، وفي فترة لويس 13، الإرساليات كانوا همزة وصل بين فرنسا والجبل في بلاد الشام، وقاموا رجال الدين بإنشاء مؤسسات مارونية فيه، وظلت الصلة قائمة بينهم وبين الكنيسة البابوية عن طريق الرهبان الفرنسيسكان حتى أنهم كانوا يطلبون من البابا تثبيت بطريركهم على كرسي أنطاكية كلما توفي وتلاه أخر، وكان رئيس الرهبان الفرنسيسكان هو من توكل له هذه المهمة. (الصباغ، 1989،ص.773)

وفي 28 نيسان 1649م، منحت لهم الحماية من ملك لويس 14،إذ جاء في رسالة "حماية ورعاية خاصة، واحترام للبطريرك وجميع الأساقفة والكنسيين والعلمانيين الموارنة الذين يعيشون في جبل لبنان " (Bey ,1899 ,p. 361).

Volume: 4 Issue: 4

كانوا الموارنة في جبل لبنان في القرن 17 يضعون لوحة صورة كبيرة للملك في الكنيسة، فكانوا ينظرون إلى الملك كالأكثر قوة والحامي، وكانوا يقومون بالدعاء اليومي له، وفي منتصف القرن 18 الرهبان اللبنانيون ادخلوا في قواعد نظامهم عيد قلب يسوع الأقدس، المرتبط بعيد القديس لويس، الذي يعتبرونه أول ملك لفرنسا، وفي عام 1730 علمت الأمة المارونية من خلال قنصل طرابلس ازدياد ابن لويس 15، قاموا بالترحيب بطقوس عقائدية، و دعوا القنصل الفرنسي وجاء البطريرك والأساقفة لاستقباله عند باب الكنيسة، وقدموا له الماء المقدس، وقام رئيس الأساقفة بتقديم خطاب يمدح فيه ملك فرنسا، ومن هنا حصلوا على عناية وحماية 12 نيسان1737من قبل لويس 15، ويظهر إخلاص الموارنة لفرنسا خلال حملة بونابرت على فلسطين، المارونيين لم يتدخلوا، رغم انه ينظرون له بعدو للكنيسة، إلا أنهم نزلوا من الجبال لتموين الجيش الفرنسي في عكا، حتى أن بونابرت قال " أعلم أنا المارونيين هم فرنسيين منذ زمن قديم جدا".(Heyberger,2018,p.25)

ارتكزت العلاقة التي أقيمت بين أمة المارونية والحكومة الفرنسية على الثقة، إذ انه منذ زمن لويس 14 إلى بونابرت، قناصل فرنسا في بيروت كانوا دائما من الأمة المارونية، وكان هذا التعيين بالنسبة لهم شرف عظيم، وقيمة ومركز ثمين للقنصل وعائلته. (Bey ,1899 ,p.363)

مع أن الحكومة الفرنسية لم تكن تقدم لهم لا رعاية ولا امتيازات، إلا أن إخلاص الأمة المارونية لفرنسا لم يقل، بينما في لبنان كانت السفن ومسافرين الفرنسيين يتم استقبالهم بشوق وفرح وكرم وضيافة خاصة جدا ومميزة، وعلم فرنسا يرفرف دائما في الأديرة ومدارس لبنان، كانت تعتبر لبنان كأرض فرنسية مستقلة، ودخول إلى الرعاية المحميين من قبل ملك فرنسا سهل،إذ كان الأتراك يعلمون هذه الحماية، والموظفين العثمانيين عندما يراسلون المارونيين، يكتبون إلى الأمة المارونية "الأمة المارونية فرانك،أو المارونيين فرنك ".(Murad,1844,p.32)

حماية فرنسا لأمة المارونية لم يكن لها أي وجود عملي إلا عبر السلطان، رغم رسائل حماية لملوك فرنسا لويس14 ولويس15، فالسلطان هو الحامي الحقيقي لجميع رعاياه من كافة الطوائف، خاصة المسيحيين، حيث كانت ترد في كل نص من نصوص معاهدات الامتيازات العبارة التالية " سوف يقيم هؤلاء الرعايا في ظل حمايتنا ويعيشون في كنفنا السلطاني الذي يحميهم من كل اعتداء ".(ظاهر، 2009، ص. 295)

وعن الحماية الفرنسية للموارنة وعلاقة بها كتب de Boislecomte (1833) المرسل من قبل الحكومة الفرنسية في مهمة في المشرق،في رسالة إلى دوق فرنسا " التواجد الوحيد للمارونيين، وذكرى المشوشة للعلاقات القديمة معنا، وخدمات المقدمة خلال الحروب الصليبية، احتياجهم لدعم الخارجي، والموقف الذي اتخذناه في المشرق حماية الطائفة الكاثوليكية،ورغبتنا في الحصول على وسيلة تأثير جديدة في سوريا، كانت هذه هي الأسباب التي أنشئت علاقاتنا الأولى مع هذه الأمة ".(p.316)

التسامح الديني الذي عرفه المسيحيين في بلاد الشام في العهد العثماني، لا يرقى إلى الشك، ويدل على ذلك تطور العمل الكنسي ورهباني في بلاد خلال العهد العثماني، وقدا بدا هذا التسامح واضحا مع بروز الأديرة كقوة اقتصادية واجتماعية، حيث بدأ رجال الدين يطالبون بحصة أكبر في الحياة السياسية، وقدم تما لهم ذلك في نهاية القرن الثامن عشرا، وفي أواسط القرن التاسع عشر من خلال نظام القائقامتين، ومن مظاهر التسامح انتشار مؤسسات الدينية والثقافية المسيحية خاصة المارونية منها، ومؤسسات التبشير الماروني، حيث كان لها دور في اعتناق أمراء الجبل الديانة المارونية. (سويد،1992،ص.16)

هذا التسامح الديني الذي عاشه المارونيين في بلاد الشام خلال العهد العثماني، وتعايش السلمي بين الطوائف جعل فرنسا تنسى علاقاتها القديمة مع الموارنة، ولكن مع بروز الأطماع الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر، وانتهاج فرنسا سياسة جديدة، والوجود السياسي لأمة المارونية في جبل لبنان، حاكم جبل من عائلة مارونية سرا، جعل أمور تختلف لتظهر كالحامية للمسيحيين من جديد في بلاد الشام، واستغلت علاقتها السابقة مع الأمة المارونية لتتدخل في شؤون بلاد الشام وتحضر و تحرض هذه الأمة

ضد الدولة العثمانية، خاصة أن الأمة المارونية كانت بحاجة إلى الدعم الخارجي فترة حكم المصري لبلاد الشام خوفا من محمد علي انه يوما ما سيقوم بتجنيد منهم، أو من محاربتهم، خاصة أن القمح الذي تنتجه جبالهم قليل لا يكفيهم للعيش، فكانوا يقوموا بشرائه من عند باشا دمشق أو حلب، بعد أن رفض باشا عكا البيع لهم، بالنسبة لهم أمر من محمد علي يجعلهم يموتون جوعا، هذا الخوف والاحتياج لمنقذهم جعل فرنسا تستغله لتحقيق أهدافها في الشرق، حيث يقولde Boislecomte(1833) في رسالة إلى دوق فرنسا، خلال زيارته للبطريرك الماروني " شكرني لزيارتي له، وقال لي سوف تولد أفكار في مصلحتنا، تظهر للجميع أننا لسنا منسيين من قبل فرنسا، الحماية سابقا لم تكن نشطة، وقلت منذ نصف قرن، لقد حافظنا بعناية كبيرة على الألقاب في أديرتنا، نحن بحاجة إليها اليوم لكي يتم إنقاذنا من السلطة الجديدة التي أحاطت بنا " .(p.326)

لقد كان دور الحماية التي تدعيه فرنسا مهمل منسي من طرفها، ولم تتذكره إلا تستغل طوائف دينية لتحقيق مصالحها في بلاد والتدخل في شؤونها وبسط نفوذها في المشرق العربي.

ومن هنا نقوم دراسة خلفيات واستخراج أسباب أحداث 1860 في جبل لبنان من خلال مذكرة فرنسية،

Mémoire sur les causes et origines des événements de 1860 Mont-Liban،كتبها

M.Bourcier S^{t} Chaffray، توجد هذه المذكرة في الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي لوزارة الشؤون الخارجية.

– أوضاع جبل لبنان قبل1840 :

رغم خضوع جبل لبنان إلى الدولة العثمانية، إلا أن كان الأمراء شهاب الحكم المطلق المعترف به من طرف السكان ومن طرف العائلات الكبرى، فكانت تحت تصرفهم قوة عسكرية، ومداخل مالية كبيرة، وكانت عائلات الشيوخ المارونية أو الدروز بحكم حقوقهم الإقطاعية يديرون المقاطعات المختلفة، تحت حكم الأمير بشير عمر شهاب، كان الأمراء شهاب من أصول مسلمة إلا أنهم اعتنقوا المسيحية الكاثوليكية (المارونية) في أواخر القرن الثامن عشر، كانوا جيدين مع مختلف الأديان (المسلمين، الدروز، المارونيين) ونسبة للمساواة في الحماية المقدمة لهم، لم تكن تحدث أي مشاكل بين الطوائف المختلفة، والبلد يعيش في امن وراحة ولا يعرف تدخل أجنبي كون لم تكن هناك تقريبا أي علاقة مع قنصليات في المدن الساحلية فقط مع العملاء الفرنسيين الحاميين المسيحيين في المدن لم يكن تدخل كبير في شؤون البلد إلى بعد 1840 أصبح لهم تأثير قوي، العلاقات الفرنسية المارونية التي تكلمنا عنها سابقة ربطت مصير المارونيين بفرنسا، أما بالنسبة لانجلترا فكان الأمر يختلف، كان وكلاءها يتعرضون إلى مضايقات وعلاقاتهم غير جيدة، وكان هذا عائقا لا يمكنها من فرض نفوذها في بقية بلاد الشام مما جعل قناصلها يحاولون فيما بعد ربط علاقات، خاصة بعد وصول لهم وثائق خاصة ب السيد لاسكريس المتوفى التي تكشف أهمية استغلال العلاقات مع شعوب البادية.(Bourciers^{t} Chaffray,1860,p10)

أما بالنسبة لدولة العثمانية، بما أن جبل لبنان كان تحت حكم الأمراء المسلمين لم تكن تفكر في التحرك لهذا النوع من الحكم الذاتي التي يتمتع به هذا البلد الصغير، ولكن الأمراء اعتنقوا المسيحية وهذا ما جعل المسالة تتغير بشكل جذري، وأصبح شهاب بالنسبة لحكومة التركية إنسان ميت وانتهت علاقتهم به، ولكن بما انه مؤشر قوة تم تأجيل إنهاء مهامه إلى الوقت المناسب، وانجلترا أيضا أجلت إلا أن سياسة محمد علي وابنه لتوسع في بلاد الشام ونتائجها، أصبحت الفرصة المنتظرة لعزله.

بعدما استولى محمد علي على حكم بلاد الشام، أصبحت لبنان تحت الحكم المصري وهذا بالنسبة للأمير حل للنفاذ من خطر إجراءات باب العالي، بعد أن أعلن تغير دينه ودعم الحكم المصري، و بالنسبة للمارونيين الحماية والمساواة القانونية والعدالة، والمناصب الإدارية الذي كان يقدمها لهم إبراهيم باشا كان لها تأثير ايجابي على المسيحيين، إما بالنسبة لدروز فكانت ثروتهم تتمثل في أسلحة والخيول والمواشي، كان من الممكن أن لا تكون لهم أي ردت فعل اتجاه الحكم المصري لولا أمر إبراهيم باشا بنزع السلاح العام والضرائب الجديدة والتجنيد العسكري الذي حول عدم مبالاتهم إلى روح عداء، حتى المواقف الايجابية للموارنة

Volume: 4 Issue: 4

أنفسهم لم تصمد أمام هذه الإجراءات الغير حكيمة بالنسبة لهم، وهذه أول مرة وجدت أسباب إثارة غضب مشتركة للمسيحيين والدروز، ومن هنا بدأت الانتفاضات الجزئية من 1834-1840

لكن فقط انتفاضة الدروز في حوران التي كانت لها القليل من أهمية .(Bourcier S[t]Chaffray,1860,p13).

دور القناصل البريطانيين ضد حكم المصري:

كان للانجليز دور في تحريض سكان بلاد الشام على تمرد ضد حكم المصري وطالبوا السكان بدخول تحت حماية السلطان، مع التمتع الكامل بامتيازاتهم السابقة، كان يرى القنصل العام انجليزي في بيروت أنها فرصة لن تعوض ولابد من استغلالها ليس فقط لرفع رتبته من قبل حكومته، ولكن أيضا ليخلق مستقبل في بلاد الشام،وهذا ما كان يحلم به قناصل انجلترا، حتى أن عدد توظيف الوكلاء زاد، وظهر في الصفوف الأولى Mr Wood مترجم انجليزي بسيط عمل في تونس وتعلم اللغة العربية، وفي ملتقى ماروني انشأ العديد من العلاقات في جبل لبنان، وتمكن بمهارته كسبهم إليه، وأصبح يذهب إلى الجبال متنكر في زى شيخ درزي ويقدم لهم الذهب والوعود وحاول كسب ثقتهم، وهنا حول كسب الطرفين الدروز والموارنة، وأصبحت الانتفاضات السابقة فيما بعد ثورة عامة .(Bourciers[t] Chaffray,1860,p.15)

جاءت معاهدة 15جويلية 1840 ووضعت تغيرات في المسألة، كانت المعاهدة بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية الأربعة كالصاعقة بالنسبة للوزارة فرنسا، إذ تم إقصاء فرنسا في هذه المعاهدة، وظهور التحالف،اعتبرتها الحكومة الفرنسية اهانة لها، يقول Bourcier st chaffray(1860)

جعلنا نتحدث بحرارة عن الانتقام لشرف الوطني الذي أساءوا له، تم اتخاذ إجراءات لزيادة قوة البحرية وتجهيز أسلحة للحرب، ولكن رغم هذا كانت نتيجة كل هذا الضجيج، أعمال تحصين باريس لم يقوموا بأي ردة فعل في خارج فقط الحديث بحسن عن محمد علي مع تجنب دعمه، سواء بإرسال الرجال أو أموال، كما أعطوا أوامر لأساطيل في بلاد الشام بعدم التحرك لغرض المساعدة. (p.16)

بالنسبة إلى ردت فعل قناصل فرنسا ووكلاءها، فقد حاولوا أنفسهم دون أمر من حكومتهم تصدي لخطر انجلترا وتثبيط جهود قناصلها ووكلاءها، لكن أفعالهم كنت محصورة في مجال ضيق كون نوايا أو سياسة الحكومة الفرنسية هذه الفترة لم تكن محددة، بالنسبة لسكان جبل لبنان لم يكونوا يتخيلوا أبدا أن من كانوا ينظرون إليها بالدولة العظمى والقوية الوحيدة قد تكون مجبرة على انسحاب، وبالنسبة لهم كانت بإرادة فرنسا أن تبقى خارج المسالة غير مبالية بالنكسات والنجاحات التي حققها الجيش المصري، وانضمت إلى انجلترا ضد إبراهيم باشا، كما كان رأي الدول الأوربية أن فرنسا أرادت تبقى خارج المسألة، ويقول الكاتب أن في هذه الفترة كانت هذه هي طريقة تسير الحكم لويس فليب،

يقولBourcier st chaffray (1860) في مذكرته "هذا ما نعتبره السقوط النهائي للهيمنة الفرنسية في الشرق، حيث لم تصبح لها قيمة وتشوه نفوذها في القسطنطينية خلال 15 عام القادمة، وهذا ما جعل الحكومة الحالية والمواهب الدبلوماسية تواجه صعوبة كبيرة في سحب هذا تشوه وإرجاع نفوذها السابق".(p.17)

أصبح لإنجلترا نفوذ قوي في القسطنطينية، لم تنقذ الدولة العثمانية فقط من خطر طموحات توسع باشا مصر، بل أيضا أنقذتها من الجيش الروسي الذي كان على وشك التدخل، وحصلت انجلترا خلال أربعة أشهر على نتيجة التي حاولت جاهدة الدبلوماسية خلال 8 سنين للحصول عليها، فاستغل الكولونيل روز هذه الفرصة لزيادة الهيمنة انجليزية في بلاد الشام مثل فرنسا، وزيادة التأثير الانجليزي من خلال الدعم السفارة البريطانية في القسطنطينية، وأصبح قويا بالنسبة لسلطات المحلية وظن انه الوقت المناسب لتغير جذريا خطته في لبنان، لكنه لم يأخذ بعين اعتبار وجود الطائفة الماروني وارتباطهم بفرنسا، ومعتقداتهم التي لا تسمح

لهم بربط مصيرهم بسلطة ممثلة للبروتستانتية، إذ قاموا بصد كل مساعدات كولونيل روز " المارونيين كانوا واثقين من اللجوء إلى سلطة الحامية الكاثوليكية،ومن هنا بدأت مأساة المسيحيين في لبنان، وهذا هو سببهم الحقيقي المباشر على الرغم من انه اختفى مع زمن في حشد الأسباب الثانوية والعرضية".(Bourcier st chaffray,1860, p.19)

أوضاع جبل لبنان من 1840-1845:

- تدخلات القناصل الأوروبيين:

ولاء الأمير بشير الكبير لإبراهيم باشا وتنفيذه أوامره المتعلقة بنزع السلاح العام والتجنيد الإجباري، وقمعه خلال الانتفاضات الجزئية في جبل لبنان المشايخ المارونيين و الدروز الذين شاركوا فيها ونفاهم إلى القاهرة هذه الإجراءات جعلته غير مقبول من طرف سكان الجبل، وبعد التمرد العام، وغضب الحكومة العثمانية، ونجاح الأسطول الانجليزي ونكسات المصرية، كان يأمل الأمير في المساعدة من طرف فرنسا، إلا أن أمله خاب مما جعله يفضل الهروب على انه يبقى ويكافح، طلب من الانجليز وسائل تسهل له الذهاب إلى مالطا، فقاموا بقول طلبه فورا، لم تكن هذه رغبة انجلترا فقط بل حتى الحكومة أرادت تعيين حاكم تركي في جبل لبنان مكانه، إلا أن القنصل العام الانجليزي دون انتظار انسحاب الأمير، كان قد قدم أحد من عائلة لأمير الكبير، أمير بشير ملحم شهاب، وذلك ان الكولونيل روز عند تحريضه لأهالي جبل لزعزعة الحكم المصري كان وعدهم مقابل هذا تمتعهم بامتيازاتهم السابقة، وإبقاء الحكم في يد عائلة شهاب، كانت واحدة من أهم امتيازات الجبل، ولأن أهالي الجبل كانوا يقدرون كل من وفى بوعده فكان هذا أسلوب الكولونيل روز الانجليزي في كسب ثقتهم، وجعلهم يعترفون بقوته وسلطته، إضافة إلى أن هذا الأمير الجديد يبقى مدين دائما للقنصل العام الانجليزي بسبب تعينه له، ومن هنا أصبح الكولونيل روز أكثر قوة ويتحكم في شؤون جبل لبنان، لكن حدث ما أحبط مخططات القنصل العام لبريطانيا،إذ أن الأمير بشير ملحم لم يبقى على ولائه له بسبب حاميه القوي فرنسا، ومعظم الشيوخ المارونيين الذي كان يعتقد الكولونيل روز أنهم تابعين له أصبحوا أقل خضوعا لأوامره، ويعود ذلك لدور الاكليروس الأعلى، البطريرك على رأسهم الذين حاولوا جاهدين تذكيرهم أن فرنسا هي الحامية الطبيعية والوحيدة التي تستحق ثقتهم، لم يستغرق الأمر كثيرا حتى فهم الكولونيل انه مستحيل أن يتمكن من سيطرة وتأثير على المارونيين على الرغم من جهوده الواسعة، فقرر ترك خطته، واتجه إلى الدروز أمله الوحيد وفكر في تمرير السلطة والحكم بأيديهم، وفي نفس الوقت يكسبهم بشكل لا رجعة فيه إلى انجلترا، وبدا بدون تضيع وقت العمل على هذا الهدف، وشدد أكثر فأكثر على علاقته بهم، أغرقهم ببراهين تدل على إحسانه لهم . (Bourcier st chaffray,1860,p.24)

يوجد في لبنان إضافة إلى عائلة شهاب عائلتان أميرية، الأمراء أبي اللمع حلفاء للعائلة شهاب، مثلهم اعتنقوا المارونية، والأمراء اورسلان من الطائفة الدرزية،الممثلان الرئيسين لهذه العائلة الأمير أحمد رسلان، وأمين رسلان، شخصيين لهم طموح كبير في 1840 مستر وود وزملائه وجدوا ما كنوا يبحثون عنه فيهم، وسرعان ما جعلوهم مؤيدين للسياسة الانجليزية، ولم يتردد كولونيل روز في رعايتهم، حتى أنا مشير دمشق كان مار على بيروت أعطى الأمير فكرة إمكانية أن يحل محل الأمير بشير ملحم كالحاكم لبنان، وغرس في نفس الوقت في فكر شيوخ الدروز بذور الحسد والكراهية ضد المارونيين، وقال لهم أن وجود حاكم من المارونيين يجعلهم في نوع من الدونية، في حين انه يجب أن لا يكونوا فقط في نفس المستوى معهم بل حكام عليهم، السلطات التركية من جانبها لم تبقى دون تحرك،إذ توقعوا أن الحرب بين المارونيين و الدروز،ستقوم بإضعافهم،وهذا يجعل الحكم ينتقل بسهولة إلى حاكم تركي، فأثارت سرا الطرفين بإشاعات كاذبة بشأن نواياهم المتبادلة .(Bourcier st chaffray,1860,p.25)

-الحرب 1841-1842

يذكر Bourcier في مذكرته رغم أن المارونيين كانوا أكثر عدد لم يتمكنوا من مقاومة الطرف أخر، لعدة أسباب:

Volume: 4 Issue: 4

1-الظروف الجغرافية الخاصة بالطائفتين، جزء من لبنان من بيروت إلى طرابلس يسكن أغلبه المارونيين إلا مقاطعة متن، التي يوجد فيها المارونيين و الدروز بنسبة متساوية، والجزء الذي يمتد من بيروت إلى صيدا، المارونيين أقل عددا أو موزعين في مناطق مختلفة، مما يجعلهم غير قادرين إلى إسعاف بعضهم.

2-المارونيين كانوا يعملون كمزارعين في أراضي شيوخ الدروز، وكانوا يعانون من الاضطهاد يشعرون بنصف العبودية بالأقلية، لم ينمى فيهم شعور الحرية والشجاعة، عكس الدروز كانوا ينشغلون بالحرب والصيد، يخبئون أموالهم في حالة الحرب، يرسلون مواشيهم إلى إخوانهم في دين في حوران التي تضمن لهم اللجوء في حالة الخسارة، وسكان المنطقة دائما جاهزين لانضمام إليهم في الحرب،عكس المارونيين لم يتمكنوا بسهولة لانضمام إلى إخوانهم وإنقاذهم، الفلاحين والتجار لم يكونوا معتادين على حمل السلاح، فقط في منطقة بشاري الواقعة فوق طرابلس كانوا دائما في مشاكل مع جيرانهم، معتدين على النزعات، عادة ما يفتقرن إلى السلاح، والمناطق أين المارونيين مقطوعة بأودية عميقة، تجعل اتصالات صعبة فقط بعد فترة من الزمن، وعندما يتجرءوا على حمل السلاح والتوجه إلى مكان الحدث، في أغلب الأوقات تكون السلطات التركية أخذت احتياطاتها وأفشلت خطتهم، وتجبرهم على التوقف والرجعة عن خطوتهم، لا يسمحوا لهم لا بدفاع عن أنفسهم ولا بوصول أي مساعدة لهم. (Bourcier st chaffray,1860,p.27)

ويرجع أسباب سلوك السلطات العثمانية وقواتها، بدخول الدروز في خدمة السياسة الانجليزية، جعلوا قضية مشتركة في نظر السلطات التركية مع الحليف المخلص للدولة العثمانية، والمارونيين كانوا تابعين إلى فرنسا، كانوا يقولوا أن فرنسا تحميهم، قبلوا سلطة القنصل ووكلاء الفرنسيين، وبحثوا عن زيادة سلطتهم كل يوم، حيث يستشرون القنصل فرنسا في كل الشؤون الصعبة، حتى أنهم غيروا أسمائهم إلى أسماء فرنسية، وهذا كله يعتبر خيانة لباب العالي، إذ تعتبر فرنسا العدو السرية لباب العالي، مما جعل الأتراك يظنوا أن المارونيين يريدون فرنسا أن تحتل البلاد، وكانت هذه الفكرة ثابتة في عقول المسلمين و المسيحيين، والمسئولين الأتراك خاصة بعد احتلال الجزائر.(Bourcier st chaffray,1860,p.30)

انتهت حرب بإقالة ونفي أمير بشير ملحم، واحتلال الجبل بالقوات التركية تحت أوامر عمر باشا، وتم تعينه كحاكم مؤقت للبنان مع أمل أن يبقى دائما، غير أن القنصل الانجليزي الذي كان يحرض الدروز ضد بشير ملحم والمارونيين،لم يكن يريد حاكم تركي، خاصة انه وعد الأمير أمين رسلان بالحكم، وهذا ما جعل شيوخ الدروز ينتفضوا، وألقى عليهم عمر باشا القبض وأرسلهم إلى بيروت، وبسبب مضايقات الجنود الأتراك للمارونيين، جعلهم يرفعون شكاوي ومطالب إلى Mr Bourée الذي نقلها إلى سفارة وإلى فرنسا، قصص المجازر في لبنان أثرت في رأي العام، وبتنسيق مع المفوضية البريطانية ونمسا بصفتها قوة كاثوليكية تدخلت، وروسيا التي كانت تتدخل في أي فرصة، وبروسيا أيضا، واجتمعوا مع قوات أخرى، وطلبوا الباب العالي بوضع حد للاضطرابات في جبل لبنان، وجاءت فكرة طرحها مترنيخ، تقسيم لبنان إلى قائمقامتين دروز وماروني ولكل منها قائمقام خاص بها،.(Bourcier st chaffray,1860,p.32)

لاقى هذا المشروع ارتياحا من قبل السلطنة وقناصل الدول لأنهم وجدوا فيه تحقيقا لمصالح دولهم، فإنجلترا رحبت به لأنه أعطى الدروز حكما خاصا و القناصل عامة أعربوا عن سرورهم لأنهم اعتبروه انتصارا لهم على سياسة السلطنة، وفرنسا وجدت فيه تحقيقا لفكرة الوطن القومي المسيحي.(رعد، 1993،ص.93)

وبالفعل تم التقسيم، ولرغبة الحكم العثماني في بقاء عمر باشا، قام بتكليفه استشارة أهالي على اختيار حكامهم الجدد، إذ من المفترض أنهم يستسلموا للضغط المهمة، ولكن مراقبة القناصل كانت نشيطة، فقد كانوا يخبرون سكان الجبل أنهم سيساندونهم مهما جرى، الدروز لم يختاروا، والمارونيين طالبوا بإرجاع الأمير الكبير بشير، وهذا ما كانت تتمناه القنصلية الفرنسية، ولكن بسبب عدم نجاح ترشيح الباب العالي يعلن عدم اتخاذ هذه الانتخابات بعين الاعتبار، وبعد عمل شاق المؤامرات، تم تعيين

أمير حيدر أبي اللمع، المنفي من طرف أمير بشير قائمقام ماروني، وعين أمير أحمد رسلان قائمقام درزي إلا انه تم استبداله ب أخاه أمين وهو غائب، وكانت القنصلية الإنجليزية هي من تكلفت بتعيينه، هنا الباب العالي،أراد أن يجعل السفارات تعترف بإجراءات التي قام بها لإنهاء الاضطرابات في لبنان، لكن السفارات طالبت بالتعويض المالي عن ما جرى للمسيحيين من خسائر، جزء من الأتراك وجزء من الدروز . (Bourcier st Chaffray,1860,p.35)

طريقة تسوية التعويضات، وبعض الخلافات بين القائمقامين وصلاحياتهم، كانت كافية في حالة انزعاج، لإشعال روح العداء، وتبدأ الحرب من جديد 1844-1845 أكثر عنف من أولى، وما كان هنا على الحكم العثماني إلا تقديم نوع من دستور إلى القوى الكبرى الخمس، صدر هذا الدستور 1845، عرف باسم قوانين شكيب أفندي، تهدف إلى تنظيم الإداري، وتنظيم صلاحيات القائمقامين والعلاقة بينهم وبين باشاوات بيروت، و إنهاء عصر الثورات في لبنان، إلا أن الغاية الحقيقية من خلاله، لجعل حكم مستحيل في الجبل، وتجهيز طرق فوضى الملائمة إلى الحكم التركي، هذه القوانين قوانين شكيب أفندي لم تترك لقمائقام سلطة ماعدا الهيبة لقبهم، تحصيل الضرائب، فرض احترام القوانين، متابعة الجرائم والمجرمين،تنفيذ الأحكام الصادرة من اسطنبول.كما تم تعيين في حضور شيوخ مندوبين للمقاطعات مختلفة بموجب القانون الإقطاعي، إذ الشيوخ لا يمكنهم تلبية مطالب الفلاحين المضطهدين بتغير المندوبين الذين يسيئون استخدام سلطتهم، حتى لو يتآمروا ضد شيوخ أنفسهم، وبما أن الشيوخ كانوا تابعيين لباشاوات بيروت، كانوا يرجعون إليهم، إلا أنهم لا يجدوا إلى دعم وهمي منهم دون حل المشكلة. (Bourcier st Chaffray ,1860,P.37)

في القائمقامية الدروز، الإقطاعية لا تزال قوية، وإخلاص لبعضهم البعض لازال موجود، الشيوخ تنقذ الفلاح الدرزي الضغط يكون على المسيحيين، ويعود ذلك إلى دور الحماية الانجليزية التي أدت إلى إلغاء عمل الباشاوات تدريجيا، القائمقام لم يعاني من أي انتفاضة، واستمرت الإدارة الداخلية في العمل وفقا للعادات الإقطاعية القديمة، كل شيخ يتصرف مثل ما يريد في مقاطعته، أما بالنسبة للقائمقامية المارونية، الإقطاعية كانت ضعيفة، مضطربة واستبدادية، التجارة والعلاقات بين موانئ الساحلية طورت مشاعر الفائدة الشخصية والمساواة في الحقوق، الحماية الفرنسية لم يكن لها دور مهم، أحيانا غير جريئة، هذا ما أدى إلى تمرد المشايخ على القائمقام العاجز، وثورة الفلاحين ضد المشايخ الغير منضبطين.

من 1847الى غاية 1854 فترة انتهت فيها الاضطرابات، وضاق البلد بعض الراحة، قائمقامين بحثوا على تنظيم وتعويض الخسائر، التجارة والفلاحة ازدهرت عند المارونيين، اهتمام الباب العالي بسبب انشغاله بروسيا وحرب الشرق، وبالنسبة لقنصلية الفرنسية في بيروت بعد Mr Bourée جاء Mr de Lesparda، كان معتاد على العمل في قنصليات في أوروبا وأمريكا، لا علم له بعمل قناصل قي بلاد الشام، لا يغير ولا يضيف ولا يتدخل في شؤون لا تعنيه، في شؤون الجبل، رأت القنصلية الانجليزية في غياب اهتمام هذا الأخير بشؤون الجبل فرصة لإعادة مشروع التوسع حتى تصل للأمة المارونية، لم يكن لا شيوخ ولا الأمراء ولا رجال الدين يرجعون إلى القنصل الفرنسي لا في حالة الظلم، ولا لطلب منه بعض الامتيازات، و بدءوا بالخضوع تدريجيا للأعمال الصالحة التي كانت تقدمها قنصلية انجلترا،التي تطلب مساعدتهم، وهنا كان السيد موور القنصل انجليزي الذي جاء بعد كولونيل روز يظن انه أخيرا كسب المارونيين.(Bourcier st Chaffray ,1860,p.39)

– جبل لبنان من 1854–1860

توفي الأمير حيدر أبي اللمع سنة 1854، وجاء للحكم اثنان من أولاد أخيه، أمير بشير عساف وأمير بشير أحمد أبي اللمع، في هذه الفترة انتبه القنصل العام لبريطانيا، لمقاطعة بشاري، الواقعة أعلى فوق طرابلس، يوجد بها مدينتين رئيسيتين، كل واحدة منهم تعتبر المدينة الرئيسية لعدة قرى أخرى، هذه المدينتين بينهم نزعات، ويحكم مقاطعة بشاري شيوخ لعائلة معروفة بولائها لفرنسا، بغاية التوسع في هذه المقاطعة، تم إرسال إرساليات تبشيرية بروتستانتية،انجليزية وأمريكية لإدهن بحجة التصييف فيها، رغم

Volume: 4 Issue: 4

تحذير يوسف باي، حاولوا جذب أهاليها بتقديم المال، يذكر أن السيد موور وصل أن أعطى من خلال وامق باشا إلى باي ميتوالي في ضواحي صيدا أمر إلغاء ضرائب للمسيحيين الذين يعتنقوا البروتستانتية، لكن أطفال المنطقة حاصروهم في منازلهم برمي الحجارة عليهم، والفلاحين أرادوا حرقهم،فقام يوسف كرم بإخراجهم من المقاطعة خوفا من غضب الشعب، غضب قنصل انجليزي و قنصل الأمم المتحدة وقاما بتقديم شكوى ضد يوسف باي كرم يتهموه بأعمال العنف ضد الإرساليات البروتستانتية ، فدافع عن نفسه، وتمت تبرئته، إلا أن حقد القنصل انجلترا عليه لم ينتهي، واشترك معه روح انتقام الأمير أحمد بشير منه، وسبب حقد هذا الأمير، لما تمرد على عمه الأمير حيدر، يوسف باي كان يدعم سلطة القائمقام حيدر، وعندما تحصل الأمير بشير أحمد على منصب القائمقام بعد وفاة عمه، وتعينه كان من صنع القنصلية الانجليزية. (Bourcier st Chaffray ,1860,p.44)

رغم تقدم معظم الأهالي بعرائض إلى الباب العالي وإلى قناصل الدول يلتمسون الإدارة لأمير بشير عساف، كذلك وقف ضده الإكليروس الماروني بحجة أن القائمقام الجديد ولد درزيا، كما أنه لم يكن معروفا بالإخلاص الديني كسلفه الأمير حيدر.(ترحيني، 1981،ص.115)

استخدم السيد موور حكم الأمير بشير أحمد لانتقام الشخصي، طلب السيد موور استدعاء يوسف باي أمام مجلس الجبل، ويقول في هذا الصدد 1860, Bourcier st Chaffray

" ليس لدينا أي فكرة عن سبب استدعائه، في كل عملنا لم نجد أي وثيقة بين أيدينا تشرح لنا ذلك، يكفيني القول أننا نعتقد انه تم استدعائه لتخويفه بتهمة الرشوة، و القضاة قاموا بإدانته، وكان من الصعب جدا عليهم اختيار التهم، وكان هدف من كل هذا إقالته من وظائفه الإدارية". (p.44).

مجلس الجبل يتكون من قاضي ومساعد قاضي من كل طائفة دينية، درزي، مسلم، كاثوليكي يوناني وأرثوذكسي يوناني و ماروني، القاضي الماروني قس حانا حبيب، رفض توقيع وثيقة أدانته،وفي قانون شيخ أفندي، الحكم لتطبيقه لابد أن يكون صادر من الأغلبية، رغم كل التهديدات بالقتل حنا حبيب لم يرجع في قراره، واجبروه على الاستقالة من وظيفته.

جاء بعد القنصل الفرنسي السابق de Lesparda القنصل Edmon de Lesseps، كان هذا القنصل شديد وصارما في التعامل، ملم عن ظهر قلب بكل أسرار الخداع السياسي، يتمتع بأعلى درجة من الجرأة، إذ يمكن في أي لحظة بدون أن يستعين بأي شخص آو أمر أخر إزالة الباشاوات الأكثر دعما من القسطنطينية، له معرفة عميقة بالأتراك، وبالسكان العربية في بلاد الشام، ماهر في اختراق أفكارهم،ويعطي أهمية كبيرة لأي كلمة ويستفيد من اصغر الحوادث.جعل هذا القنصل الأمير بشير أحمد يتنازل عن تهم ضد يوسف بك، وحذر الأمير أن يبتعد عن القنصل انجلترا، أو ينقلب عليه، وهنا القنصلية الفرنسية استأنفت تسير شِون البلد.(Bourcier st Chaffray ,1860,p.49)

تمثل رد فعل Mr Moor بطلبه من صهره قنصل انجلترا في دمشق Mr Wood بمساعدته في إشعال والتحريض على الثورة في زحلة، لكن القائمقام تمكن من إخمادها بفضل de Lesseps، وعندما غادر Mr Wood دمشق إلى تونس، وجد من يخلفه قادر على توجيه Mr Moor في خلق المشاكل للأمير أحمد بشير، الكولونيل Churchill الذي قام بإرسال أشخاص مسلحة، ونهبوا محصول الحرير لقرية تابعة لمجال السلطان، وهنا ظن البطريرك الماروني أن هذا الفعل لن يمر بدون معاقبة، وسوف يعطي فرصة لطرد الفاعل من البلد نهائيا، في بداية Churchill كان محمي، لكن بعد سنتين من التحريات، تم ترحيله إلى دمشق، وعند سماعه أن مشروع ترحيله كان ليوسف باي دور فيه، قرر الانتقام منه وأصبح العدو المشترك بينه وبين قنصل انجلترا.(Bourcier st Chaffray ,1860,p53)

-النزاع في المقاطعة المارونية وثورة على القائمقام الماروني:

في أواخر 1856 حث نزاع بين سكان بشاري و إهدن يتعلق برسم حدود المناطق،تدخل الكولونيل Churchill وأرسل إلى شيوخ بشاري ووعدهم بدعم القنصلية البريطانية لهم، ويتعهد بعدم تعرضهم ألا أي معاناة من تطبيق يوسف بك القانون، تحول هذا النزاع إلى حرب مفتوحة، انهزموا عدة مرات 1856، وسنة 1875 أعاد البشاريين الهجوم مرة أخرى، بعد أن قام الكولونيل Churchill بتزويد الشيوخ بشاري بالسلاح ومسحوق البنادق، ومدفعان صغيران، وانتصر يوسف كرم بك من جديد رغم انه كل على وشك أن يقتل،وأعلن شيوخ العائلات الثلاث الكبرى غزن، دحدح وحبيش، للبشاريين أنهم سيدمرون قريتهم في حالة عدم إعلانهم السلام، هذه الأحداث نتجت عنها أحداث أخرى القائمقام الماروني الأمير بشير أحمد لم تكن لديه أي قوة فعالة، والعديد من الشيوخ اتهموه بعدم إصلاح بين أهالي ادهن وبشاري، كل من قام الأمير بعزلهم أو ثبط طموحاتهم أو رفض طلبات عملهم وقفوا ضده، واتهموه بآلاف الاتهامات، وقامت القنصلية الانجليزية بجذب الأكثر تأثيرا، وشكلوا حزب، الأمير بشير عساف ابن عمه الذي حطمت أماله سابقا في أن يصبح قائمقام، تم اختياره رئيس الحزب، 15الى 18 ألف يوناني كاثوليكي أو أرثوذكس موزعين في قائمقامات المسيحية،يذكر كاتب المذكرة "سبب حقدهم يعود إلى ثورة المارونيين ضد الإمبراطوريين البيزنطيين Justinien Rhynoplete و Canstantin pogonato ." (Bourcier st Chaffray ,1860,p.55)

كانت باقي الطوائف المسيحية الأخرى، في رأي مبعوثي روما بالذات، تكره الفرنسيين بسبب مواعظ وأعمال مبشريهم التي تثير الاستياء لدى كنائس الطوائف الأخرى.(الحداد،1994، ص.283)

القنصل العام لروسيا في بيروت M.Moukin اتفق مع قنصل انجلترا لتكبير عدد صفوف المعارضين، واعتبر البطريرك بيار بول مسعد، أنها قضية دينية تختبئ تحت قضية بقاء أو سقوط الأمير، وإن انتصار القنصلية الإنجليزية سيصبح هو انتصار البروتستانتي، ولابد من دعم القنصل الفرنسي معنويا، وجذب معه قسم كبير من الأمة، Mr de Lesseps القنصل الفرنسي دعم للغاية الأمير بشير أحمد، خاصة ضد الشكاوي العديدة التي كانت تصل إلى باشا بيروت، وجعل السفارة تهتم بهذه القضية، لكن بعد فترة من الصمود، تم الهجوم على القائمقام في قصره، ولم يكن حوله إلا عدد قليل من الأشخاص، مما جعله يهرب إلى بيروت، وفي بيروت تم توقيفه من وظائفه إلا أن يبرأ نفسه من التهم التي نسبت إليه، دافع عن نفسه، وقدم بعض رسائل الكولونيل Churchill، إضافة إلى مساعدة القنصل الفرنسي له، تمت تبرئته، لكن التحريات طلت لمدة سنتين،ولم يتم إرجاعه حتى كان بلد في حالة لا يحتاج إلى رجعت.(Bourcier st Chaffray ,1860,p.59)

-رد فعل الباب العالي:

لقد تابع الباب العالي كل مراحل الثورة،عدم النجاح سابقا، في محاولات كي يصبح الجبل تحت سيطرة حاكم تركي،فهم الديوان انه مستحيل فرض حاكم واحد على كل لبنان، فكان مشروعهم تقسيم الجبل، وجعل في كل مقاطعة متسلم،موظف تركي يكون تابع لباشا بيروت أو باشا دمشق، عمله فقط تطبيق الأوامر، اعتبر الأهالي أنا هذا المشروع قد يكون حل لتخلص من معاناتهم ومن الفوضى، لكن بالنسبة لسفراء القوى الكبرى اعتبروا أنا هذا حل سيجبرهم عن التخلي عن مهمتهم، حماية السكان، هذا التحول أول ما يتم تنفيذه في المقاطعات المسيحية ثم تدريجيا في المقاطعات الدرزية، ومن هنا حصل الباب العالي عام 1859 على ما كانوا يسعون إليه عام 1842، يقول Bourcier S^{t} Chaffray (1860) " ان هيمنة وكلاء الانجليز التي كانت في السنوات الخيرة، من 1841-1845 السبب الأول في ألام المارونيين، وبسبب مناورات Mr Moor،ومستشاريه، السلطات التركية اغتنمت الفرصة الضائعة منذ 1847".(p.58)

Volume: 4 Issue: 4

-ثورة الفلاحين 1859:

أدى نمو التجارة الخارجية ازدياد قدرة التسويق الزراعي مابين العقدين الخامس والسادس من القرن التاسع عشر إلى تشديد استغلال الفلاحين اللبنانيين، فنضج الاستياء في القرى، وسجل الفلاحون الشكاوى بشأن ازدياد ابتزاز الأموال والأعمال التعسفية في عريضة يطلب فيها الفلاحين إلغاء كافة القروض الإقطاعية.(لوتسكي،2007،ص150)

عند اقتراب نهاية عام 1858 سكان كسروان، انتفضوا ضد شيوخ غزن، حاول البطريرك التدخل مرة مع الشيوخ ومرة مع الفلاحين، لكن كل من الطرفين كان يتهموه بأنه منحاز للطرف الأخر، لم يجد حل فقرر الانسحاب، وفي شهر نيسان 1859، قام الفلاحين بقيادة طنيوس شاهين طرد الشيوخ ونهبوا مساكنهم، وقاموا بحجز محاصيلهم أو مصادرتها حسب المصلحة العامة، من قبل قائد الثورة، عائلة غزن مكونة من 600 شخص،ثروتهم كلها عبارة فقط عن أراضي، لجئوا إلى بيروت بدون أي مال فقط حلي نسائهم الذي كانوا يرتادوه لحظة هروبهم، في بداية القنصليات نظروا،لانتفاضة الفلاحين على أنها ردت فعل عادلة لما عانوه من ابتزاز و اضطهاد المشايخ، لكن معاناة أطفال ونساء غزن جعلتهم يجتمعون في السلك القنصلي للاتفاق على التدخل الجماعي عند الباشا، إلا أن هذا اتفاق لم يتم وكل قنصل قرر عمل بمفرده، وهذا ما قام به M^r de Weckbecker ،M^r le C^re Bentivoglio،قنصلان نمسا بالاتفاق مشترك، لم يطالبوا الفلاحين الرجوع إلى اضطهاد الشيوخ، ولكن طالبوا من الشيوخ، حرمانهم من ممارسة حقوقهم إلى أن يتم إصلاح معاملتهم السيئة، رغم هذا أعيدوا إلى تمتع بمنازلهم وممتلكاتهم، وأصروا على ترهيب الفلاحين، وإجبارهم على قبول شروط من قبل المندوبين الذين جاءوا مع الشيوخ برفقة مجموعة صغيرة من الجنود،وبعد ذلك قام خرشيد باشا مشير ايالة صيدا مقيم في بيروت بإرسال 400 جندي في أواخر جوان لكسروان مع أفندي، وعند وصولهم إلى الجبل الجنود توقفوا،اتفق أفندي مع كبار الأهالي، وتحدثوا مع الفلاحين وأفهموهم في ظل الظروف الذين هم فيها ليس لهم طريقة أخرى للحصول على العفو من قبل السلطة،والهروب من انتقام الشيوخ إلا بقبول إقامة متسلمين. (Bourcier st Chaffray ,1860,p.62)

في شهر يوليو1859 تلقى الحاكم العام لإيالة دمشق من أجل اتفاق مع مشير بيروت، لفصل مقاطعة زحلة عن القائمقامية المارونية وتقديمهم متسلما، و أمر في نفس الوقت لخورشيد باشا، في حالة فصل زحلة بدون صعوبات يقوم بنفس شيء لأميون الواقعة بقرب من طرابلس، تم تنفيذ القرار في زحلة إلا أن سكانها احتجوا في طلب إلى القنصليات العامة في بيروت،التي أرسلتها إلى سفارات، لكن باشاوات توقعوا هذا التصرف، طلبوا من سكان زحلة بأي وسيلة ممكنة، يعلنون أنهم راضون، و أنهم استلموا تهديدات من القنصلية الفرنسية، أرسلت هذه الوثيقة وأيقظت شكوك السفارات حول حسن نية القنصلية الفرنسية، لكن القنصلية الفرنسية في بيروت ودمشق أرسلت كل منهم ضابط من ضباط القنصلية إلى زحلة، جعلوا سكان زحلة يتحدون، ويشعروا أن بتوقيعهم لطلب الذي يرغب به الباشاوات، سوف يستسلمون بشكل لا رجعة فيه، لمستقبل تحت رحمة الأتراك، امتنعوا، صديق أفندي دمشق مكلف بالقضايا السياسية، المرسل من قبل أحمد باشا المرسل للإجراءات التحقيق في قضية شتم القوات الحامية لآباء اليسوعيين بقرية بالقرب من زحلة، حاول بالوعود والترهيب لإفشال خطوات المبعوثان الفرنسيان، لكنه لم يستطع، وقبل رحيله قال لسكان زحلة، يوما ما سيأتي ولن تكن فرنسا هنا لحمايتكم، والشهر الموالي، سفارة فرنسا أعلن إلى M^r le C^re Bentivoglio أن قرار ربط زحلة بالقائمقامية المارونية تم توقيعه وأرسل إلى بيروت. (Bourcier st chaffray,1860,p.64)

-أحداث 1860:

في نفس وقت ما كان يحدث في زحلة، ابتدأ العداء بين الدروز والموارنة، في مساء 15 أوت في بيت ميري قرية تقع على حدود القائمقامتين، تطل على بيروت، يسكنها الطوائف المختلفة، حدثت مشاجرة بين صبيين ماروني ودرزي، وبتدخل أهلهما،

ومن ثم الموارنة و الدروز، والتدخل حتى من القرية المجاورة لنجدة أخوانهم في بيت ميري، أدت إلى اندلا ع القتال بين الطائفتين، يقول الكاتب المذاكرة، المشاجرة بدأت دون أن تكون متوقعة، شيئا فشيئا حتى أصبحت بالسلاح، كان من المستحيل تحديد الظالم من بين جانبين، الدروز ذهبوا لإنقاذ إخوانهم، ويمكن عذرهم بحكم شعورهم الأخوي، ولكن ما ذنب قرى بعيدة عن مسرح الحدث بكثير؟ لم يكن لهم أي دخل تم حرقهم وقتلهم من قبل الشيخ الدرزي، يوسف عبد الملك. (Bourcier st chaffray,1860,p.68)

خرشيد باشا يوم 17 أو 18 ذهب مع جنوده ونصب خيامه في مكان عالي في طريق دمشق يفصل بين القائمقامتين، أسرع لتدخل خشية من توسع القتال الطائفي.(بهير، ص.605)

المارونيين وأساقفة بيروت على رأسهم، طالبوا بإصرار اعتقال يوسف عبد الملك ومحاكمته وإعطاءه أقصى عقوبة لما قام به من جرائم،إلا أن تحيز الباشا كان واضحا، وأظهر انه مؤيد لجميع مطالبات الدروز في تسوية التعويضات، ورفض مقاضاة يوسف عبد الملك، أدى هذا إلى تدخل القنصليات واجبروا المشير التدخل لتوطيد العلاقات رغما عنه، الدروز لاحظوا أن السلطات عملت ما في وسعها لضمان عدم عقوبتهم، بينما الحماية الممنوحة للمسيحيين من قبل القناصل كانت تفتقر إلى الحزم والصرامة لجعلها أكثر فعالة، يقولBourcier s^t chaffray(1860)" كنا مندهشين بعض أحيان في سوريا من عدم تحرك الواضح لقنصلية انجلترا في شهر أوت 1859، بحثنا عن شرح ذلك بالرضا الذي شعر به M^r Moor تجاه الفكرة، إن تحيز الباشا سيكون يعتبر إهانة للموارنة، وهذه الاضطرابات التي لا يمكن التغلب عليه،أعاقت ما كان يريده C^te Bentivoglio وحسن نيته، مما يتبين لهم أن العملاء الانجليزيين هم الوحيدين في حماية من يكون تابع لهم ".(p.70)

خضع المسيحيين لرغبات المشير، وأعلن السلام في كل مكان وتحقق، إلا أنه كان مؤقتا، ومن ذلك الحين كانوا يتجهزون للإعادة الحرب، خلال خمسة أشهر من عام 1860، تم اغتيال في القائمقامات الدروز قس ماروني ثم 15الى 20شخص، وفي 30ماي دروز عبادية و بيت ميري توحدوا وهاجموا بيت ميري، وفي 3 أيام أصبح الجبل نار من بيروت إلى صيدا.

في أخر مذكرة يرد Bourcier S^t Chaffaray، حول امتناع الحكم العثماني من توقيف المجازر، واتهام الموارنة برفع السلاح أولا:

لقد تم تضليل الرأي العام في أوروبا، وتم التأكيد في لندن، أن باب العالي في 30 مايو، لم يكن يملك سوى 400 رجل، لكن إحصائيات في تلك الفترة تدل على العكس، كان هناك حوالي أربعة ألآلاف جندي، أي نصفها كان كافي لإيقاف الدروز، ويرجع Bourcier S^t Chaffaray سبب عدم أمر بتدخلهم، إلى هدف الحكم العثماني تمديد تعليق القائمقام الماروني إلى أجل غير مسمى، حيث تظهر قصة ثورة كسروان، قرار فصل زحلة و أميون، الرعاية التي منحها خورشيد باشا للدروز في اغسطس 1859، كدليل كافي لنوايا الباب العالي في لبنان، يقول Bourcier S^t Chaffaray،(1860)

"يمكننا التركيز على بعض الجزئيات الموجود في الرسائل، التي أرسلت إلينا شخصيا، في بداية مايو1860، رسائل من دمشق وصلت إلى بيروت أشرت إلى وجود اجتماعات سرية كثيرة بين أحمد باشا والشيوخ المهمين الدروز في حوران، تشاوروا فيها على تحطيم مسيحيين البلد، بعد إضعافهم وإحباطهم من خلال مجازر عامة في لبنان، في مختلف المناطق أين لا يوجد فيها قوات، كنا نرى في هذه القصص نصيب من المبالغة، على كل حال،لا نعتقد أنهم يضيفون إلى التهم التي ذكرناها ".(p.73)

ويرد على الاتهامات البعض، أن الموارنة هم من رفعوا السلاح أولا، بأنها خاطئة، وان المجازر نسبت إلى الذين عانوا، وقلة المقاومة التي أبداها المسيحيون، على عكس التي تصرفوا بها في1841-1845 تثبت أنهم لم يكونوا مستعدين للدفاع كخصومهم الذين كانوا مستعدين للهجوم، و من هنا لا تسمح لنا بالاعتقاد بأن المسيحيين هم من حملوا السلاح أولا. (Bourcier st chaffray,1860,p.74)

Volume: 4 Issue: 4

– الخاتمة:

وفي أخير نستنتج انه على رغم من ظاهر الصراع طائفي ديني، كما قال البطريرك الماروني إلا انه كان سياسي، و من خلال ما جاء في المذكرة الأرشيفية الفرنسية تعود أسباب هذا الصراع، إلى سياسة فرنسا وانجلترا، والحكومة العثمانية.

– انجلترا لطموحها في بسط نفوذها وتوسيعه في المشرق العربي تنافسا مع فرنسا، لعب قناصلها ووكلاءها دور في جبل لبنان من خلال تقربهم للدروز.

– فرنسا استغلت العلاقات والحماية المارونية السابقة المنسية لتحقيق أهدافها وطموحاتها الاستعمارية في بلاد الشام، ورغم تعاطفها مع الأمة المارونية إلا أن حماية لهم لم تكون قوية وغير فعالة لدفاع عنهم خلال أزمتهم.

– الحكومة العثمانية لم تخمد نيران هذه الحروب، بل كان لها دور في إثارة سرا الطرفين من خلال الإشاعات الكاذبة حول نواياهم المتبادلة، في محاولة منها لمد سلطتها المباشرة على المنطقة، من خلال تعين حاكم تركي على جبل لبنان.

قائمة المصادر والمراجع:

الحداد،حكمت ألبير(1994). *لبنان الثورات الفلاحية القرن التاسع عشر*، لبنان: دار نظير عبود.

الصباغ، ليلى (1989). *الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني*، ج2، ط1،

بيروت: مؤسسة الرسالة.

بهير، ماجد (2018).*الحروب المسيحية الدرزية في جبل لبنان 1841-1861*. *العلوم الإنسانية والمسألة الدينية*،(01).جامعة المستنصرية،ص-ص595-619.

ترحيني، محمد (1981).*الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي*، ط1، بيروت: دار الأفاق الجديدة.

تشرشل، تشارلز (1984). *بين الدروز والموارنة في ظل الحكم التركي 1840*-1860: دار المروج.

رعد، مارون (1993). *لبنان من الإمارة إلى المتصرفية 1840-1861 عهد القائمقامتين*، بيروت: نظير عبود.

سويد، ياسين (1992). *فرنسا والموارنة ولبنان تقارير ومراسلات الحملة العسكرية الفرنسية على سوريا 1860-1861*، ط1، بيروت: شركة المطبوعات.

ضاهر، مسعود (2009).*الجذور التاريخية لمسألة الطائفية البنانية 1697-1861*، ط1، لبنان: دار الفارابي.

لوتكسي(2007).*تاريخ القطار العربية الحديث*، ط 9، لبنان:دار الفارابي.

Bey,Francis (1899).*La protection diplomatique et consulaire dans les échelles du Levant et de Barbarie* , Paris: librairie de la société du recueil général.

De Boislecomte (1833).*Correspondance politique de M^r de Boislecomte , en mission en Orient avec le département* , tome 20 Turquie , France: Ministère des Affaires Étrangères.

Bourcier S^t Chaffray ,M (1860). *Mémoire sur les causes et origines des événements de 1860 Mont-Liban* , vol 62 , France: Ministère des Affaires Étrangères.

Heyberger ,Bernard (2018).*La France et la protection des Chrétiens Maronites généalogie d'une représentation.Relations internationales*, France ,(173),pp 13-30.

Issa ,Wachill (1994). *Confession et pouvoir au Liban. revue l'homme et la société* ,(114) ,pp 63-73.

Matar , Joseph (1987). *Les origines de la crise libanaise. revue étude internationales*. Québec, (18) , pp585-600.

Murad , Nicolas (1844). *Notice historique sur l'origine de la nation Maronite et sur ses rapports avec la France sur la nation druze et sur les diverses populations du Mont-Liban* ,ed 2, Paris: librairie d'Adrien le clere et cie.

Volume: 4 Issue: 4